

انعكاس القرآن الكريم والشخصيات القرآنية في شعر فلسطين المعاصر

آشور قليچ پاسه*

تاريخ الوصول: ٩٥/٩/٢٤

مسعود باوان پورى**

تاريخ القبول: ٩٦/١/١٩

نرگس لرستانى***

حديثه متولى****

الملخص

يكون نمط وأسلوب شعر المقاومة وإطاره اعتقاديًا وثقافيًا ووطنياً يبعث على أن يستفيد الشاعر من الدين والقضايا المتعلقة به في هذا الصنف من الأدب. إن الدراسات التناسية تعد من إحدى المطالعات المتعلقة بدراسة النصوص الدينية. مما لا شك فيه إن كل أديب مسلم يحظى بالأبعاد والجوانب الدينية القوية فإنه لقد تأثر من الكتب الدينية وقد قام باستعمالها في كتاباته. لقد تأثر الشعراء الفلسطينيون من نص القرآن الكريم عبر التعرف عليه في أشعار مقاومتهم. وتمثلت ظاهرة التناس في أقوال الشعراء الكبار غير المعروفين في صور عديدة. يسعى هذا المقال عبر استخدام المنهج التوصيفي - التحليلي ومع مطالعة دواوين الشعراء الفلسطينيين المعاصرين (منذ ١٩٨٠م) في أن يقوم بالتبيين والدراسة لتأثرهم من مصدر غني كالقرآن الكريم ونوعية الاستفادة من هذا المصدر غير المحدود الذي لا ينضب وأيضاً التمتع بالشخصيات الإسلامية.

الكلمات الدليلية: التناس، القرآن الكريم، الشخصيات الإسلامية، شعر المقاومة، الشعراء الفلسطينيون.

* عضو هيئة التدريس في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة زابل، زابل، إيران (أستاذ مشارك).

** طالبة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد مدني بأذربيجان. masoubavanpouri@yahoo.com

*** طالبة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الأزاد الإسلامية فرع گرمسار، گرمسار، إيران.

**** طالبة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الأزاد الإسلامية فرع گرمسار، گرمسار، إيران.

الكاتب المسؤول: مسعود باوان پورى

المقدمة

لقد تجلّى الأدب العربي بأجمل صورة على أضواء القرآن الكريم وصار كآداب أكثر ساطعة ولامعة بين آداب الأمم المختلفة في أرجاء العالم، ومنذ القدم لقد اهتم الأدباء والشعراء إلى الآيات القرآنية في نتاجاتهم وأعمالهم الشعرية مستمتعين بها. بما أن القرآن الكريم لقد اعتبر مصداقا للفصاحة والبلاغة عند العرب فإن الشعراء والمؤلفون والكتاب لقد سعوا بأن يظهرُوا قدراتهم في استخدام الألفاظ والمفاهيم للقرآن الكريم عبر الاستفادة من كلماته الساحرة ومعانيه العليا وكذلك عبر الاستشهاد بها أن يزدادوا في تأثير كلامهم وفي ظل القدسية والاحترام لكلام الباري والتعالى أن يقوموا بتصعيد حلاوة أفكارهم ورؤاهم أكثر بكثير من قبل؛ ومن ثم أن يعتبروا في عداد الذين يقدمون أفكارا أكثر تجليلا واستساغة للجميع. عبر نظرة عابرة إلى النتاجات المتعلقة بكبار الآداب والأشعار فمن البديهي بأنه يركز الكثير من العبارات والتعابير والإشارات والاستدلالات والبراهين لهم على اقتباسهم أو استلهاهم من هذا الكتاب المبين أو أحاديث الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

يعد القرآن الكريم الكتاب الديني ورسالة العقيدة والتصديق لجميع مسلمي العالم. ينظر القرآن الشريف كون وصفه كتاب حكمة وهداية وإرشاد إلى حالة التسامى وعلو الدرجات لجميع الأوامد من الأرض حتى إلى القبة السماوية، وأنه تم تنزيله من قبل سبحانه وتعالى أساسا بأن يوصلهم من أرض الشهوات والأميال الحيوانية الدنية إلى ذروة السماء والأسفار العلوية والسماوية. كتاب عبر مضي ألف وأربعمائة سنة من نزوله لقد مزج وتعجن معهم وكأنه قد اختلط مع عروقهم وجلودهم ودمائهم.

لذلك فإن القراءة، درك المضامين والتعليم لهذا الكتاب العظيم يكون بمثابة حياتنا من جديد مع القرآن الكريم. مازالت الآيات والمفاهيم القرآنية تعتبر كون وصفها أداة ووسيلة فنية ومصدرا واستلهاما للشعراء طوال التاريخ. وعبر نظرة خاطفة إلى نتاج الأدباء والشعراء خاصة المسلمين منهم؛ فمن المعلوم أن العديد من العبارات والتعابير والإشارات والبراهين لهم لقد استوحت من القرآن الكريم بصفة الكتاب المبين (باوان پوری وریکا طرهانی، ١٣٩١: ٢).

سابقة البحث

عبر المراجعة إلى المقالات والمجلات المرتبطة بنطاق الأدب العربي فيمكن أن نحصل على هذه النتيجة أنه لقد تم تحرير مقالات قيمة كثيرة بشكل عام حول آثار القرآن الكريم والتناس في أشعار مختلف الشعراء كـ«اشكال التناس الديني في شعر خليل الحاوي» (١٣٩٠)، *لعلى نجفى / يوكى وفاطمة يگانه*، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها. و«التناس الديني في أدب المرأة الكويتية (شعر سعا الصباح نموذجاً)» (١٣٨٩)، *لفاطمة ذوالقدر*، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها. و«التناس القرآني في رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ» (١٣٣١ق)، *لخليل پروينى ونعيم عمورى*، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية. و«بينامتنى اشعار عبدالوهاب البياتى با قرآن كريم» (١٣٩٠)، *لطيبه سيفى*، في مجلة دو فصلنامه تخصصى پژوهشهاى ميان رشتهاى قرآن كريم. و«روابط بينامتنى دينى در قصيده (ثورة فى الجحيم) جميل صدقى زهاوى» (١٣٩٠)، به قلم حسين كيانى و فاطمه على نژاد چمازكتى، مجلة انجمن ايرانى زبان و ادبيات عربى. ولكن حتى الآن لم يلاحظ أى مقال تناول موضوع دراسة التناس القرآني في شعر فلسطين المعاصر.

استخدام التناس القرآني و الشخصيات الإسلامية

تتألف غالبية نفوس المجتمع الفلسطيني من المسلمين. بناء على هذا الأمر فيلاحظ تأثر الشعراء والأدباء الفلسطينيين من الآيات القرآنية فى استلهمهم من التوجيهات والإرشادات والأفكار الإسلامية بشكل وافر.

لقد تأثر الشاعر الفلسطيني توفيق الحكيم بهذه الآية القرآنية: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمْ ابْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجِ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف / ٤٠) عندما يتحدث عن عجز إسرائيل فى حرف طريقة الإنسان الفلسطيني المقاوم والصامد.

«أهون ألف مرة

أن تدخلوا الفيل بثقب إبرة

أن تطفئوا الشمس، وأن ...

تحبسوا الرياح
من أن تمتيوا باضطهادكم
وميض فكرة
وتحرفونا عن طريقنا الذى اخترناه
قيد شعره»

(زياد، لا تا: ٢٧)

يقتبس محمود درويش من الآيات القرآنية للتعبير عن المكانة والمنزلة للفدائي.

﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (علق / ٣ - ١)

«الله أكبر

هذه آياتنا، فأقرأ

باسم الفدائي الذى خلقنا

من جرحه شفقا»

(درويش، ١٩٩٤، ج ٢: ١٩)

لقد تحدث أحمد دحبور فى شعره من الأيتام ومعاناتهم عن الجوع مشيرا إلى طرق وأساليب الصهاينة فى ممارسة صنوف القتل بحق الفلسطينيين، حينما يفتح الإسرائيليون تحت الأحجار قنابل ما ويقومون بتدمير منازل وأمكنة وطرق يعتبرها الفلسطينيون كملاجئ لأنفسهم. إذن يعد الشاعر الناس بإتيان المهدي (عج) شاهرا سيفه والذى يقوم بإزالة صفحات الظلم والجور والضغط منهم ولقد استمتع بالآيات القرآنية فى تبيين هذه الشؤون المذكورة.

﴿جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾ (بينه / ٨)

«سيخلفنا المهدي بالسيف

العالم أسرة أيتام تتضور

وفلسطين فى هذا العام

جنت تجرى تحت حجارتها الأलगام»

(دحبور، ١٩٨٣: ٢٠٥)

لا يزال يطوى فدوى طوقان الشاعر والمناضل الفلسطيني الذي لا يكل، حياة مرة في ظل وجود أعدائه الصهاينة ويختار ألفاظاً قرآنية مثل «زقوم» و «سقر» للتعبير عن البديل والاستبدال لموطن الأنبياء (عليهم السلام) وموطن الزيت والعسل بموطن العذاب والمرارة والظلم والجور.

﴿لَا كَلِمَٰتٍ مِّنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقْوٰمٍ﴾ (واقعه/٥٢)

﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ (مدثر/٢٧ - ٢٦)

«أهيا حبي الغريب

أهيا حبي لماذا

وطنى أصبح باباً لسقر؟

ولماذا شجراً لتفاح صار اليوم زقوما»

(طوقان، ١٩٩٣: ٤١٢)

إنه لقد استلهم في قصيدته الأخرى تحت عنوان «أهات أمام شباك التصاريح» لقد استلهم من اللفظة القرآنية «غسلين»:

﴿وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِّنْ غَسْلَيْنِ﴾ (حاقه/ ٦)

«أهيا حقدى الرهيب المستشار

قتلوا الحب بأعماقي، أحالوا

في عروقي الدم غسليناً والقار»

(ن.م: ٤٠٩)

الشاعر الآخر معين بسيسو يشير في القصيدة «القمر ذو الوجوه السبعة» إلى شعراء منافقين يتوسلون براية الإمام الحسين(ع)، وحينما تبدأ الحرب يقومون بمدح قتلة الإمام الحسين(ع) عبر قصائدهم المزخرفة والمنقوشة على السيوف. يهجو بسيسو في هذا الشعر شعراء يبيعون ذواتهم، والذين يعتبرون أشعارهم وسيلة وأداة لاغتنام الفرص والخيانة مما يكون هذا الأمر بمثابة وصمة عار يندى جبين الإنسانية والأخلاق منها.

«تموت في الخريف مرة

وفي الربيع مرتين

يستقيظ الشتاء في عضونها

ويأكل اليدين
رأيته في كربلاء
تحت راية الحسين
صهيل سيفه مع الحسين
وفوق سيفه قصيدة منقوشة
في مدح قاتل الحسين»

(بسيسو، ١٩٨٧: ٤٠٤)

يتم ذكر اسم مدينة كربلاء وشخصية الإمام الحسين(ع) في قصيدة «شهداء الحب» من الشاعر سميح القاسم. إنه يقوم بخلق شخصيته(ع) من جديد حتى يبين بأنه يكون بطلا تاريخيا قاوم وصامد أمام الظلم والجور والباطل، وأخذ على عاتقه الصراع الإنساني وحده واستشهد حتى يبقى حيا حتى يعيد العدالة والخلق الإنسانية. إن الشاعر يحظى بمكانة أحد انزعج واستاء من ظلم أقرباءه وقومه أكثر مما رأى من ظلم وجور الغرباء والأجانبين وهو يعتقد أن ظلم وجور الرومان لا تؤذيه في الحروب الصليبية بل يجعله أكثر قوة في مقطع ما:

«في عقر دارك جزّ الروم ناصيتي
وجاوزت خيلهم أبواب حطين
لكن ظلم ذوى القربى أشد على
روحي الجريحة من ظلم يقاويني
ما كربلاء! وفي بغداد نازفة
دماء شعبي من حين إلى حين
يا دجلة الخير، فاجرف كل شائبة
واسق المحبين، واغسل إفك مأفون»

(قاسم، ١٩٨٧: ٣٩٣)

لقد تحدث عز الدين المناصرة في القصيدة «المقهى الرمادي» من الحزن والغم وغرْبته، وبالتالي يلوذ بالإمام الحسين(ع) حتى يهدء ذاته وربما يكون قصد الشاعر من «نحن جيران الحسين» هو غربة الشعب الفلسطيني ومظلوميتهم وحقوقهم المسلوبة:

«اول الليل أجرّ الخطو ... لا تدرين أين
نحو مقهى أشرب الأحزان من جدرانه
قرب الحسين
ثم أدعو للحسين
بالرضا عن رأسه ... والراحتين
نحن جيران الحسين
نشرب الخمر إذاما
ساعة القلب تجيء
ونصلى ساعة للعشق، نفنى في الحسين»

(مناصرة، ١٩٩٠: ٢٦٠)

تكون شخصية/بؤذر الغفاري الصحابي البارز للنبي الأكرم(ص) في القصيدة «من أوراق
أبي ذر الغفاري» رمزا معروفا للإنسان متدين وعابد وتقى وزاهد ترك الرفاهية والرخاء
والسرور جانباً، ويعالج وضع الفقراء والمساكين والبؤساء والذي يجاهد في استرجاع
حقوقهم المغصوبة والمهضومة من الأثرياء الظلمة والمرفهين؛ وكذلك تعتبر شخصيته رمزا
لشخص منفي من وطنه وبائس ومؤلم وغريب حتى يشير إلى وحشيتهم وحرصهم
وطمعهم. لأنهم(الصهاينة) سلبوا من كد أيادي الكادحين أي شيء وقاموا بتقسيمه بينهم
وقد جعلوا حياة الفلسطينيين مصحوبة بالتشريد والقحط والجفاف والمرارة. يكون
المهاجرون رمزا للمتشردين والأنصار رمزا للعرب الذين التجأ المتشردون إليهم وأن بلالا
يكون رمزا للذين ينادون بالإيمان والعدالة والوحدة والاتحاد.

«يا أيها الذئب

قسمتم الأسلاب

ظلمها جرين حفتة من الزقوم

جرعة من الغسلين للأنصار

بلال لم يزل مؤذنا

في ثقب إبرة بلال»

(بسيسو، ١٩٨٧: ٢٦٠)

ثم يستعمل الشاعر شخصية *أبوذر الغفاري* كقناع للتعبير عن وجهة نظره الشعرية وأنه مازال يبين وجهة نظره البرهانية على لسان *أبي ذر الغفاري* الهزلي (الهاجى).

«لمن ثمار هذه السيوف

وساقت الرياح والرماح للخليفة القعيد

ألف مركب وهودج من الذهب

وصار للولاة ألف قينة

وألف قصر

وألف بئر خمر

وألف فم»

(ن.م: ٢٤١)

تعتبر شخصية *يوسف (ع)* فى الشعر الفلسطينى رمزا للإنسان الغريب البرىء من الآثام والأخطاء والطاهر النقى الذى يخونه إخوته بغضا وحسدا ومكرا.

يتناول *بسيسو* فى القصيدة «العندليب فى البئر» قصة *يوسف (ع)* ثم يشبه نفسه إلى *يوسف (ع)* والذى لقد تورط فى بئر خيانة الإخوة العرب، ولا يجد أحدا أن يطلق سراحه وبالتالي يقوم بالتعبير عن غربته ويأسه.

«لم يزل يوسف فى البئر ومن

آه قد ألقى له الحبل هلك»

(ن.م: ٢٣٧)

تحتل قصة *نوح (ع)* وطوفانه مكانة خاصة فى الأشعار الفلسطينية وفى ذاتها تعتبر رمزا للتححر بعد الظلم والجور الكثير. يستغيث *محمود درويش* من *نوح (ع)* أن ينقذ الشعب الفلسطينى دون رحلتهم من أرضهم، وكذلك دون ركوبهم السفينة التى تعتبر اليوم وسيلة للنجاة والإنقاذ. يأمل الشاعر أن يحيى الشعب الفلسطينى عبر الموت فى أرضهم ونشورهم منها فى يوم القيامة.

«يا نوح

لا ترحل بنا

إن الممات هنا سلامة

إنا جذور لا تعيش بغير أرض
ولتكن أرضى قيامه»

(درويش، ١٩٩٤، ج ١: ١١١)

لقد استفاد معين بسيسو من قصة يونس(ع) في القرآن الكريم بحيث لقد قام بذكر
حداثة غربته ووحده، ويبحث عن سمكة أن تحميه مثل يونس(ع) في بحر المشاكل
وصعوباته.

﴿فَالْتَمَّهٗ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (صافات / ١٤٢)

«الحوت»

خبأ يونس وحماه

الحوت حمى يونس

لكننا نبحت في هذا الوطن الواسع

في هذا البحر الواسع

نبحت عن حوت»

(بسيسو، ١٩٨٧: ٤٣٦)

يعتبر هابيل وقابيل من جملة شخصيات قرآنية أخرى لقد استفاد منهما الشاعر
الفلسطيني كرمز ما. يقوم فدوى طوقان في شعره «قابيل الأحمر» بذكر الصهاينة
وجيوشهم لأجل حداثة ظلمهم وجورهم وإلحاقهم الأضرار إلى الفلسطينيين.

«قابيل الأحمر منتصب في كل مكان

قابيل يدق على الأبواب

على الشرفات

على الجدران

يتسلق يقفز يزحف ثعباناً ويفح

بألف لسان

قابيل يعربر في الساحات يلف يدور مع الإعصار، يسد

مسالك

ويشرع أبواباً لمهالك

يحمل في كفيه غسول الدم
توابيت النيران
قابيل إنه مجنون يحرق روما»

(طوقان، ١٩٩٣: ٤٦٢)

نتيجة البحث

لقد لعب القرآن الكريم منذ القدم ومنذ زمن نزوله دورا ملحوظا في الشعر والأدب لأنه قد قام بتغيير المفاهيم الشعرية، وأن الشعراء لقد تأثروا من مفاهيمه وألفاظه العليا عبر تفعيل قدراتهم واستطاعتهم الخاصة بهذا الشأن. كذلك لقد استمتع الشعراء الفلسطينيون بهذا المصدر الأزلي والخالد في أشعارهم بكثرة ما، وقد استخدموا الآيات القرآنية في تبين الغاية ومرادهم عبر إدخال قليل من التغيرات فيها. إنهم لقد استمتعوا بشخصيات إسلامية مثل هابيل وقابيل، نوح، يوسف، يونس (عليهم السلام) وأيضا من سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) بغية تبين آلام ومعاناة أممهم في أشعارهم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأثير، ضياء الدين. ١٩٥٩م، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق احمد الحوفى، قاهره: دار النهضة العربية.

ابن منظور، محمد بن مكرم. ١٤١٤ق، **لسان العرب**، ط ٣، بيروت: دار صادر.
انجينو، مارك. ١٩٨٧م، **في أصول الخطاب النقدي الجديد**، ترجمه احمد المدينى، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

بسيسو، معين. ١٩٨٧م، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ط ٣، بيروت: دار العودة.
حلبى، شهاب الدين محمود. ١٩٨٠م، **حسن التوسل إلى صناعة الترسيل**، تحقيق اكرم عثمان يوسف، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.

دحبور، احمد. ١٩٩٤م، **الديوان**، ط ١٤، بيروت: دار العودة.

درويش، محمد. ١٩٩٤م، **الديوان**، ط ١٤، بيروت: دار العودة.

زياد، توفيق. لا تا، **الديوان**، بيروت: دار العودة.

طوقان، فدوى. ١٩٩٣م، **الأعمال الشعرية الكاملة**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

عبدالعاطى، كيوان. ١٩٩٨م، **التناسق القرآنى في شعر أمل دنقل**، قاهره: مكتبة النهضة العربية.

الغذامى، عبدالله. ١٩٨٥م، **الخطيئة والتفكير**، جدة: النادي الرياضى.

القاسم، سميح. ١٩٨٧م، **ديوان**، بيروت: دار العودة.

مرتاض، عبدالملك. ١٩٩١م، **فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناسق**، جدة: مجلة علاقات النادي الأدبى الثقافى.

مفتاح، محمد. ١٩٩٧م، **تحليل الخطاب الشعرى؛ استراتيجيات التناسق**، بيروت: دار العودة.

مكارىك، ايرناريمان. ١٣٨٥ش، **دانشنامه نظريات ادبى معاصر**، ترجمه مهران نجفى و محمد نبوى، چاپ دوم، تهران: آگه.

المناصره، عزالدين. ١٩٩٠م، **ديوان**، بيروت: دار العودة.

المقالات

باوان پورى، مسعود و بتول ريكا طرهانى. ١٣٩١ش، «تأثير قرآن كريم در شعر هاتف اصفهانى»،

مجموعه مقالات همایش ملی ادبيات تطبيقي کرمانشاه، دانشگاه رازی.

جابر، ناصر. ٢٠٠٧م، «التناسق القرآنى في الشعر العماني الحديث»، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد ١٢، شماره ٤.

سياحي، صادق و فرحان گل مغاني زاده. ١٣٩٣ش، «التناص القرآني في شعر فدوى طوقان»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، دانشگاه آزاد جيرفت، السنة السادسة، العدد الرابع والعشرون، صص ٢٧-٤٦.
شاملي، نصرالله و ساجد زارع نجف آبادي و امير عمراني سارو. ١٣٩١ش، «التناص القرآني في شعر مصطفى صادق الرافعي»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، دانشگاه آزاد جيرفت، السنة الرابعة، العدد ١٤، صص ٨٠-٥٥.

مهري نژاد، سيده رقيه. ١٣٩٠ش، «فلسطين وتجلياتها في شعر فدوى طوقان المقاوم»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، دانشگاه آزاد جيرفت، السنة الثالثة، العدد العاشر، صص ١١٣-١٢٤.
ميرزايي، حسين و سيدابراهيم آرمن. ١٣٩٠م، «التناص الأسطوري في شعر أمل دنقل»، فصلية دراسات الأدب المعاصر جيرفت، السنة الثالثة، العدد التاسع، صص ١٧١-١٥٣.
ويكلي، كريستين. ١٣٨٤ش، «وابستگی متون، تعامل متون، ترجمه طاهر آدينه پور»، پژوهشنامه ادبيات و نوجوان، شماره ٢٨.